

اللغة العربية

مكانتها وأهميتها بين لغات العالم

فطومة قاضي

kadi.fat2018@gmail.com

جامعة البليدة 2

تاريخ النشر 2023/12/01	تاريخ القبول 2023/10/01	تاريخ الإرسال 2023/09/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

ملخص:

تحتل اللغة العربية مكانة بارزة بين لغات العالم لما تمتاز به من ثراء لغوي ودلالي وقدرة على التجدد والتطور، مما مكنها من المحافظة على دورها الحضاري والثقافي والعلمي عبر العصور. وتبرز أهميتها من خلال كونها لغة القرآن الكريم، ولغة التراث العلمي والفكري للأمة الإسلامية، بالإضافة إلى تأثيرها على اللغات الأخرى وانتشارها الجغرافي الواسع. كما تعكس اللغة العربية هوية الشعوب الناطقة بها، وتساهم في صون الثقافة ونقل المعرفة عبر الأجيال، مما يجعل الحفاظ عليها وتطويرها ضرورة استراتيجية وعلمية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، المكانة الحضارية، التطور اللغوي، الهوية الثقافية، التأثير العالمي.

Abstract:

The Arabic language holds a prominent position among the world's languages due to its linguistic richness, semantic depth, and ability to renew and develop, which enabled it to maintain its cultural, civilizational, and scientific role throughout the ages. Its significance is evident as the language of the Quran, the medium of the Islamic scholarly and intellectual heritage, and through its influence on other languages and wide geographical distribution. Arabic reflects the identity of its speakers and contributes to preserving culture and transmitting knowledge across generations, making its preservation and development a strategic and scientific necessity.

Keywords: Arabic language, civilizational status, linguistic development, cultural identity, global influence.

مقدمة:

تُعدّ اللغة العربية من أقدم اللغات السامية، وقد رافقت مسيرة الفكر الإنساني على مر العصور لما تمتاز به من قدرة فائقة على التعبير وثراء دلالي هائل. وهي لغة حية قادرة على التجدد والتطور، لامتلاكها رصيداً لغوياً ومعجمياً واسعاً، ما يجعلها من أبرز لغات العالم وأهمها على المستويين الحضاري والثقافي. ومن هذا المنطلق، يصبح الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها ضرورة علمية وثقافية، نظراً لدورها في صون الهوية الوطنية وبناء المستقبل، ولا سيما في ميادين العلم والتكنولوجيا والإعلام، لضمان استمرار مكانتها بين لغات العالم.

كيف أكسبت اللغة العربية مكانتها الحضارية والثقافية والعلمية بين لغات العالم، وما العوامل التي مكنت هذه اللغة العريقة من الاحتفاظ بحيويتها وقدرتها على التجدد عبر العصور، مع الحفاظ على دورها الاستراتيجي والثقافي والفكري؟ وتتفرع عنها أسئلة فرعية، من أبرزها: ما مفهوم اللغة العربية؟ وما خصائصها ومكانتها العلمية؟

ولمعالجة هذه الإشكالية، يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتيح التعرف على القيم المعجمية والدلالية للغة العربية، وبنيتها الصوتية، ووظائفها التعبيرية، إلى جانب الاستعانة بالمنهج المقارن لاستجلاء مكانتها العالمية مقارنة باللغات الأخرى، وتأثيرها في مسيرة الحضارة الإنسانية.

وتُعدّ اللغة العربية واحدة من أعرق لغات العالم وأكثرها ثراءً، فقد ارتبطت بحضارة ممتدة في الزمان والمكان، وكانت وسيلة للتفكير والإبداع والتدوين العلمي والأدبي. وتميزت بثرائها الدلالي وبنيتها الصوتية الفريدة، مما مكّنها من الحفاظ على مكانتها بين اللغات الحية، رغم التحولات الحضارية المتسارعة والتغيرات الثقافية عبر العصور.

• أولاً: مفهوم اللغة عند العلماء العرب واللغويين المعاصرين

لطالما حظيت اللغة بمكانة مركزية في الفكر الإنساني، وقد تناول العلماء تعريفها وتحديد ماهيتها منذ العصور القديمة وصولاً إلى العصر الحديث. ففي التراث العربي القديم، عرف ابن جني في الخصائص الجزء الأول من خصائص اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹.

ثم جاء تعريف اللغة عند ابن خلدون في مقدمته، حيث قال: "اللغة في المعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده"². وعند ابن الحاجب، فهي "كل لفظ وضع لمعنى"³، بينما عرفها الأنباري بأنها "ما كان من الحروف دالاً بتأليفه مع معنى يحسن السكوت عليه"⁴.

وفي العصر الحديث، أضاف علماء اللغة تعريفات موسعة لم تتجاوز حد التعريف الذي وضعه ابن جني منذ القرن الرابع الهجري. فمثلاً، عرف سابير اللغة بأنها "وسيلة إنسانية محصّنة لإيصال الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الإشارات المقصودة"، كما وصفها بأنها "وسيلة للاتصال ذات عناصر مركبة نحويًا ومنتجة صوتيًا لتبادل رسائل مقيدة بين المتكلمين"⁵. أما سوسير، رائد المدرسة الحديثة في علم اللسانيات، فقد اعتبر اللغة وسيلة اتصال إنسانية تركز على محورين أساسيين:

- النظام اللغوي: مجموعة القواعد النحوية والصرفية والمعجمية، سواء الفطرية أو المكتسبة، المخزنة في العقل البشري.

- استعمال هذه القواعد: توظيف المنطق اللغوي والقواعد لإنتاج رسائل مسموعة ومفهومة بين المتكلمين⁶.

• ثانياً: نشأة اللغة العربية

نشأت اللغة العربية في شبه الجزيرة العربية وانحدرت من العائلة السامية، حيث مرت بمراحل تاريخية متعددة أسهمت في تشكيل بنيتها اللغوية وتطورها عبر الزمن. من أبرز هذه المراحل:

- العربية القديمة: التي ظهرت في النقوش والكتابات المادية، خصوصاً في القرون الميلادية الأولى، وكانت أساساً لتطور أشكال اللغة اللاحقة.

- العربية في العصر الجاهلي: حيث برزت كلغة الشعر والخطابة، وامتازت بثرائها المعجمي وقوة التعبير، ما جعلها وسيلة للتأثير على المستمعين ونقل الأفكار والمشاعر بأسلوب فني وجمالي.

- العربية الفصحى الكلاسيكية: التي تطورت بعد نزول القرآن الكريم وتدوين الشعر، وتمتاز بضبط قواعدها ونظمها الصوتية والدلالية، مما أتاح الحفاظ على استقرار اللغة واستمراريتها على مدى القرون.

- العربية المعاصرة: التي تأثرت بالثقافات الأجنبية والتطورات العلمية الحديثة، لتصبح لغة حياة عالمية قادرة على التعبير في ميادين العلم والسياسة والثقافة والإعلام.

وللغة العربية قيمة جوهرية في حياة كل أمة، فهي الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم، فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وتتيح التقارب والتفاهم والانسجام بينهم. فالقوالب اللغوية التي تُصاغ فيها الأفكار والصور الكلامية، والتي تُعبّر من خلالها عن المشاعر والعواطف، لا تنفصل مطلقاً عن مضمونها الفكري، ما يجعل اللغة العربية عاملاً محورياً في الحفاظ على الهوية الثقافية ونقل التراث الفكري للأجيال.

• ثالثاً: خصائص اللغة العربية

تتمتع اللغة العربية بعدد من الخصائص المميزة التي تجعلها فريدة بين لغات العالم. فهي اللغة الأم ولغة القرآن الكريم، إذ نزل بها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: "إنا أنزلنا قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" (سورة يوسف، الآية 2). كما أنها لغة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ولغة التراث الإسلامي العريق.

تتميز أصوات اللغة العربية بدقة تركيبها وثرائها، مما يجعلها مركز جذب في النطق، وتضم مجموعة من الأصوات الفريدة التي لا تضاهيها أي لغة سامية أخرى. كما تُعد معاجم اللغة العربية من أغنى معاجم اللغات، حيث تحتوي على أكثر من مليون مفردة، وتبرز فيها خاصية اللفظ والمنهجية التي تميز العربية عن اللغات الأوروبية.

وتقوم اللغة العربية على صيغ الصرف التي تركز على نظام الجذر، وغالباً ما يكون ثلاثياً أو رباعياً. كما يقسم الاسم العربي إلى جامد ومشتق، وتتميز بوجود صيغة المثنى التي تشبه بعض اللغات الأخرى، إضافة إلى استعمال جمع التكسير وتصنيف الأسماء إلى مذكر ومؤنث.

ومن الخصائص الفنية للغة العربية جمال الخط العربي وتنوع أشكاله، مما أتاح للخطاطين الإبداع في كتابة القرآن الكريم. ومن أبرز هذه الخطوط: النسخ، الثلث، الفارسي، الديواني، الكوفي، والخط المغربي، التي تعكس التراث الفني الغني للغة العربية.⁷

تتميز اللغة العربية عن غيرها من لغات العالم بتعدد أساليبها اللغوية، التي تشمل الفصحى والعامية، فضلاً عن الأساليب الشفوية والمكتوبة. كما تتسم بتنوع فني واسع في الكتابة والخطوط والنثر والشعر، إضافة إلى استخداماتها العلمية في مجالات متعددة مثل الهندسة والفلسفة. وتمتلك العربية القدرة على نقل العلوم والمعارف المستفادة من حضارات ولغات مختلفة، كالرومانية واليونانية، مع إمكانية التواصل والتحاور مع مختلف اللغات والثقافات.

كما تتميز اللغة العربية بامتلاكها أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، حيث تتوزع مخارج الحروف من الشفتين إلى أقصى الحلق. وعلى الرغم من أن بعض اللغات الأخرى قد تحتوي على عدد أكبر من الحروف، فإن مخارجها تبقى محدودة في نطاق أضيق، مثلما يحدث في اللغة الفرنسية، حيث تتوزع الحروف في الفم أو الخيشوم بشكل متقارب، على عكس العربية التي تجمع بين التنوع والاتساع في المخارج الصوتية.⁸

• رابعاً: أهمية اللغة العربية

- لغة القرآن الكريم: تكتسب اللغة العربية قداسة خاصة كون القرآن الكريم نزل بها، وهو ما ساهم في الحفاظ على بنيتها وقواعدها عبر العصور. فقد أصبحت العربية لغة العبادة، ووسيلة لإبراز الإعجاز اللغوي، الأمر الذي جذب ملايين البشر من مختلف الأمم إلى تقدير هذه اللغة والافتخار بانتمائهم إليها.

- لغة الحضارة الإسلامية: لعبت العربية دورًا محوريًا في نقل المعارف العلمية والفلسفية والطبية والفلكية خلال الحضارة الإسلامية، وكانت الوسيلة الرئيسة لتدوين العلوم وتداولها بين العلماء المسلمين. وقد استند الغرب إلى التراث العلمي العربي لترجمته والاستفادة منه في مسارات التطور العلمي والتكنولوجي، ما يعكس مكانة اللغة العربية العالمية.
- الثروة اللغوية: تمتاز العربية بغنى معاجمها التراثية وبقدرتها على توليد المصطلحات الجديدة، فضلًا عن نظام الاستقاق الذي يتيح إنتاج كلمات متعددة الدلالات، مما يجعلها من أكثر لغات العالم قدرة على التعبير والإبداع اللغوي.
- النظام الصوتي والبلاغي: تتميز العربية بنظام صوتي دقيق يحوي أصواتًا فريدة مثل الضاد والعين والغين، إضافة إلى امتلاكها لعلوم البلاغة وفنون التشبيه والمحسنات البديعية، ما يمنح النصوص العربية قدرة عالية على الإيحاء والجمال التعبيري.
- الاستعارة والمجاز: ساهمت قدرة اللغة العربية على توظيف الاستعارة والمجاز في إثراء الأدب والشعر، ووسعت آفاق الإبداع الفني والبلاغي لدى الكتاب والشعراء.
- دورها في بناء الهوية والثقافة: تشكل العربية ركيزة أساسية للهوية العربية والإسلامية، إذ تعكس التراث والقيم الثقافية للمجتمع وتساهم في حفظ ذاكرته التاريخية والثقافية.
- انتشارها الجغرافي: تتحدث العربية أكثر من 400 مليون شخص في 22 دولة، إلى جانب ملايين المتعلمين حول العالم، وهي من اللغات الست الرسمية المعترف بها دوليًا، مما يعزز من مكانتها بين لغات العالم⁹.

● خامسًا: مكانة اللغة العربية بين لغات العالم

- 1- لغة عالمية رسمية: اعترفت بها الأمم المتحدة كلغة رسمية منذ عام 1973، تقديرًا لدورها الثقافي والسياسي وانتشارها الواسع بين شعوب العالم. ويعكس هذا الاعتراف الدولي أهميتها ليس فقط كلغة تواصل بين الناطقين بها، بل كلغة ثقافة وحضارة، تساهم في تعزيز الهوية العربية والإسلامية على المستوى العالمي.
- 2- مكانتها في التراث العلمي والأدبي: تحتل العربية موقعًا مركزيًا في حفظ التراث الإنساني، فقد دونت بها كتب ومؤلفات كبرى في مجالات الشريعة والفقه والفلسفة والأدب والطب والعلوم الطبيعية. وقد كانت وسيلة أساسية لنقل المعرفة وتطويرها، وحافظت بذلك على الموروث الثقافي والمعرفي للأمم الإسلامية. ومن أبرز علماء العرب الذين أسهموا في هذا التراث: ابن الهيثم في البصريات، الرازي في الطب، ابن سينا في الفلسفة والطب، والفارابي في الفلسفة والعلوم الاجتماعية، ما يعكس عمق إسهامات اللغة العربية في الحضارة الإنسانية.

3- تأثيرها في اللغات الأخرى: أسهمت اللغة العربية بشكل ملحوظ في تطور عدة لغات، من بينها الإسبانية والتركية والفارسية، من خلال المصطلحات والمفاهيم العلمية والفلسفية والثقافية، ما يعكس عمق تأثيرها الحضاري عبر الزمن.

• سادساً: مكانة اللغة العربية بين لغات العالم ومكانتها الاستراتيجية والثقافية

تتسم اللغة العربية بتنوع أنماطها واختلاف مفاهيمها بحسب السياق الذي تُستخدم فيه، ويبلغ عدد الناطقين بها أكثر من 300 مليون نسمة حول العالم. وتستند كلماتها واشتقاقاتها إلى جذور راسية، كما تتعدد مرادفات الكلمات لتعبّر عن دلالات دقيقة؛ فمثلاً كلمة "حب" لها إحدى عشرة مرادفاً، يعكس كل منها حالة معينة من الحب. وتتميز العربية عن غيرها من اللغات بفروق كبيرة، مثل اتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار، ووجود أحرف فريدة لا مثيل لها في لغات أخرى، كما أثرت في تكوين عدد من الكلمات الإنجليزية¹⁰.

ويشير كتاب اللغة العربية فهي لغة العالم (باتريك بيرجوت، 2018) إلى أن العربية تُدرس في فرنسا منذ عام 1587م، ويبلغ عدد متعلميها اليوم في الثانويات الفرنسية بالخارج نحو 127 ألف شخص، بينما يقل عدد الدارسين في الجامعات إلى أقل من 14 ألفاً. كما تأسس معهد العالم العربي في فرنسا ليكون جسراً ثقافياً بين فرنسا والوطن العربي.

كما تواكب اللغة العربية العصر المعاصر بمرونتها، فهي اليوم لغة مواقع التواصل الاجتماعي وأنماط الإعلام الحديثة، مما يؤكد قدرتها على التأقلم مع مختلف الأزمنة والأمكنة والحفاظ على مكانتها بين لغات العالم.

تكتسب اللغة العربية مكانة خاصة بفضل الموقع الجغرافي للدول العربية وامتلاكها لثروات اقتصادية هامة، إضافة إلى ريادتها الثقافية والأدبية¹¹. وقد أشار عدد من العلماء الأجانب إلى عظمة اللغة العربية، فقد قال الفرنسي إرنست رينان: "اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة"، كما وصف وليم ورك العربية بأنها "لينة ومرنة، بإمكانها التكيف وفقاً لمقتضيات العصر"¹².

وتحمل العربية شأنًا كبيرًا وقيمة عظيمة، فهي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وعبرها اتصلت الأجيال العربية جيلاً بعد جيل. كما حملت اللغة العربية رسالة الإسلام وما نشأ عنه من حضارات وثقافات، وحملت رسالة إنسانية عامة بكل المفاهيم والأفكار، مما مكّنها من أن تكون لغة حضارة إنسانية. وفي هذا السياق، يقول مصطفى صادق الرافعي: "إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به، ومتميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً"¹³.

ومن جانب آخر، رأى صالح بلعيد أن "اللغة العربية لغة الحاجة والضرورة، وهي تحتاج إلى جهد متواصل وعمل يومي في جميع الميادين للتطويع والإغناء، للتسهيل وللتقريب لأي وضعها في الخدمة اليومية الحية، لأن اللغة لا تتبنها القرارات السياسية أو النظم الخاصة بقدر ما تتبنها الأبحاث الجادة"¹⁴.

وبذلك، تتجلى العربية كلغة الفكر والعلم، قادرة على مواجهة التحديات والأزمات، محافظة على دورها الحضاري والثقافي والاستراتيجي عبر العصور.

خاتمة:

إن اللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي ركيزة أساسية للحضارة والثقافة والفكر، تعكس إرث الشعوب العربية وإسهاماتها العلمية والفكرية عبر العصور. وقد أثبتت قدرتها على التكيف مع مختلف التطورات التاريخية والثقافية والتكنولوجية، ما يجعلها لغة حية وقادرة على مواجهة تحديات العصر. ومن هنا، فإن الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها يعد واجباً حضارياً وثقافياً وعلمياً، لضمان استمرار مكانتها بين لغات العالم وتعزيز الهوية الثقافية والحضارية للأمة.

الهوامش:

¹ أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج1، حققه محمد علي النجار، كلية الكتب للطباعة والنشر وتوزيع، بيروت، ط1، 2006، ص3

² عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحقيق محمد الشامي، شبكة دار الكتاب الحديث، 2016، ص656

³ مختصر ابن الحاجب 17

⁴ أسرار العربية 23

⁵ سابير، 1961:8

⁶ للاستزادة ينظر: كتاب محاضرات دي سوسير.

⁷ ينظر: صادق بن محمد الهادي، "أهمية اللغة العربية ومميزاتها"، <https://shorturl.at/YWclU>، اطلع عليه 25/11/30، بالتصرف ص 8.

⁸ ينظر: فرحان السليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، صيد الفوائد ص 14.

⁹ ينظر: رمضان عبد التواب فقه اللغة العربية وخصائصها، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ص85.

¹⁰ (Faraan sayed) A few surprising fact about the arabic language. WWW.

Britishshcouncil. Org. Retrieved 26/11/25

¹¹ ينظر: شوقي ضيف، الفصحى والمعاصرة، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص60-70

¹²فرحان السليم، ص16

¹³الرافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن: المعركة بين القديم والجديد، ص 39.

¹⁴أحمد عبد الكريم الخولي، اكتساب اللغة نظريات وتطبيقات، دار مجدلاوي، ط1، 2014 ن ص 07